بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذه الأيام التى نعيشها تشتد حاجة المسلمين إلى دينهم عن أى زمن مضى ، وآية ذلك إقبالهم على قراءة الموضوعات الفقهية ، وكثرة استفتاءاتهم أهل العلم فيما يجهلون من أمور الدين .

ولم يكن المسلمون فيما مضى من زمان هذا القرن يقبلون على هذا اللون من العلم ، فقد عشنا فى ثلاثينيات هذا العصر وأربعينياته والثقافة السائدة المكتسحة هى الأدب العربى ، والمترجم إلى العربية .

كانت مجلة الأزهر - على عراقتها وقوتها فى هذا الوقت - لا يقرؤها إلا المتخصصون ، وكانت مجلة الإسلام التى يصدرها المرحوم أمين عبد الرحمن متواضعة كل التواضع فى مظهرها ، قوية كل القوة فى مخبرها ، ولكنها كانت بطيئة التوزيع ، تسعى إلى قرائها فى المساجد ، فيسعون إليها سعى السلاحف ليمدوا أيديهم بثمنها الهزيل وهو نصف القرش إلى صاحبها رحمةً به ... أما مجلة الثقافة ، ومجلة الرسالة ، وهما ميدان الصراع الفكرى الأدبى ، ومجال المعارك المستمرة بين الأدباء الكبار ، وكان فارس تلك المعارك هو الدكتور زكى مبارك : الذى اشتبك حينًا مع الأستاذ أحمد أمين ، وحينًا مع الأستاذ السباعى بيومى ، وكانت معركة بين الأستاذ عباس العقاد والأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، وكانت المعارك تمتد أزمنة طوالاً ، والشباب والكبار يقبلون على هاتين المجلتين ومجلة الرواية إقبالًا منقطع النظير .

أما الشئون الدينية فقد كانت فى المرتبة الأخيرة من اهتمامات المثقفين ، ولم يكن هناك ما يستولى على الألباب من ثقاف الإسلام إلا ما ينشره فضيلة الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، ودروس رمضان التى كان يلقيها

فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمهما الله . وفى غير هذا كان الدين وأهله يعيشون فى هوانٍ بين الناس ، يستقبل الناس أهله بالامتهان فى المدن ، أما فى الريف فكانت لهم قداسة لا تدانيها قداسة ، لاسيما فى صورة « سيدنا » وهو معلم أبنائهم ، وخطيب جمعتهم ، والقاص المفصل الذى يزودهم بمجموعة من القصص والموضوع ولكنه آسر للألباب .

وأذكر من ظواهر امتهان الناس لأهل الدين أن الناس فى مدينة « الزقازيق » . فى الثلاثينيات كانوا يستقبلون طلاب المعهد الدينى فى شوارع المدينة وهم بملابسهم الأزهرية بالصياح خلفهم ، وبترديد كلمات سخيفة تدل على فقدان الوعى بالإسلام ، وكثيرًا ما كانت هذه المظاهر تنتهى بضرب الطلبة إن هم اعتصموا بالوقار والسكوت .

وتكررت هذه الأحداث ، فلما اعتصم أحد الطلبة بمقهى من المقاهى ليحمى نفسه من الضرب ، ما كان من صاحب المقهى ورواده إلا أن أوسعوه ضربًا على ضرب ، ففر هاربًا حتى عاد إلى المعهد الدينى ، وقصد إلى شيخه المرحوم الشيخ محمود أبو العيون ، وشكا له ما حدث . وكان الشيخ ثوريًا قديمًا . فأخذ الطالب ، وجمع طلاب المعهد ، وكانوا ألفًا وخمسمائة طالب تتفاوت أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين ، وعرض عليهم مأساة زميلهم ، وخطب فيهم خطبة مثيرة تهيب بهم أن ينتزعوا احترام الناس فى الزقازيق لهم بالقوة .

وأعلن الطلبة الحرب على مدينة الزقازيق : لبسوا الجلاليب ، وفتحوا مخازن المعهد وكسروا الأخشاب ، وقطعوا فروع الأشجار ، ولم يصبح الصباح إلا وألف وخمسمائة يخرجون إلى الشوارع وفى يد كل منهم هراوة يحطم بها كل ما يصادفه دون تمييز .. الناس ، والمحال التجارية والصيدليات والمقاهى وكل ما فى الشارع تناولته هروات الطلبة .. ولم يسلم رجال الشرطة من هجمات الطلبة ، مما اضطر مدير الشرقية إلى الإستعانة بالشيخ محمود أبو العيون لإسكات طلابه ،

وكان ذلك على شروط ، منها أن يكون رجل الشرطة فى خدمة طلبة العلم الدينى فى أى لحظة .

تلك صورة لما كان عليه الدين وثقافة الإسلام فى المدن الكبرى .

فإذا ما جئنا إلى أيامنا هذه وجدنا الحال تتغير ، وسبحان مقلب القلوب والأبصار ، فالثقافة الدينية احتلت مركز الصدارة ، والناس يتوجهون بأسئلتهم واستفتاءاتهم إلى العلماء فى كل مكان ، والكل فى حاجة إلى الكتاب الإسلامى ، وتواضع توزيع كتب الأدب ودواوين الشعر أمام الكتاب الإسلامى ، فى دورة جديدة من دورات السيادة الدينية على كل الثقافات .

ولعل السبب فى ذلك هو إخفاق الأفكار البشرية فى تحقيق السعادة للبشر ، وتوالى الهزائم على بلاد الإسلام من أعداء الإسلام ، والوعى الإنسانى الذى تفتح فأصبح أكثر فهمًا ، وأشد أخذًا للأمور .

ومع ذلك فهناك هجوم مضاد يشنه أعداء الإسلام لتمييع هذه النهضة ؛ وإيجاد حالة من الانحلال بين الشباب تجعل السيادة للأندية ، وأفلام الإثارة الجنسية ، والعنف ، والتغريب بكل معانيه وأساليبه .

وقد ضاقت الكتب عن إشباع حاجة المسلمين ، فراحوا يبحثون باستفتاءاتهم إلى الصحف والمجلات ، وراح الكبار من العلماء يجيبون عنها . ومن أجل هذا راجت هذه البضاعة وأقبل الناس عليها من أجل دينهم ومن أجل مستقبلهم .

والشيخ الشعراوى رأس من يستفتيه الناس . وقد صدرت له سلاسل فى الإجابة عن حاجات المسلمين ، استخلصها من أعدُّوها من أفكاره ، وجعلوها كالجواب عن أسئلة ، فأفادت الناس كثيرًا ، وكان من هذه الفتاوى فتاوى حقيقية سئل عنها الشيخ من أناس مُعيَّنين بأسمائهم ، فى مواضع خاصة ، ونشرت إجاباتها فى الصحف والمجلات الشهرية والأسبوعية .

ولما كان العثور على هذه الفتاوى صعب المنال ، وتجميعها فى كتاب واحد أمرًا عسيرًا فقد جمعنا منها مائة سؤال وجواب فى هذا الكتاب ، لعل اللّه ينفع به الناس ، ويهديهم إلى أسرار دينهم .

وتمتاز إجابات الشيخ – رحمه اللّه – بأنها تقترن دائمًا بالحكمة ، فلا يكتفى بأن هذا جائز أو غير جائز ، حلال أو حرام ، وإنما يعقب على الحكم بحكمته ، ويسهب فى بيان أبعاده الإسلامية ، بما يُقنع المسلم بدينه ، ويجيبه فيما يفعل ، ويغضه فيما لا يفعل ، وتلك سمة جديدة تخرج بنا عن نطاق التخويف والترهيب إلى مجال الحب والتعصب للّه فيما أمر ونهى .

هذا .. وإننا نهيب بالناس أن يستوعبوا هذه الفتاوى ، فهى تعليم بطريقة سهلة ومحببة ، ليست من باب الأمر والنهى ... ولا صلاح للناس إلا فى رحاب دينهم ، ولا أمل لهم فى العودة إلى المجد إلا من خلال شرع اللّه .

نسأل اللّه أن ينفع به الناس ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدًا .

عبد القادر أحمد عطا

---

(١) انتقل إلى رحمة اللّه تعالى فضيلة الأستاذ عبد القادر أحمد عطا فى رمضان عام ١٤٠٣ من الهجرة النبوية الشريفة بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات وكتب التراث القيمة التى كان لها أثر طيب فى نفوس الناس .

ولما أخبرت فضيلة الإمام داعية الإسلام محمد متولى الشعراوى حفظه اللّه وأطال لنا فى عمره بوفاة الأستاذ عبد القادر عطا ترحّم عليه ودعا له ، وأخبرنى فى مجلس آخر أن فضيلته صلى ركعتين ودعا للمرحوم عبد القادر أحمد عطا .

رحم اللّه عبد القادر أحمد عطا رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

عبد اللّه حجاج